

صُبْحِي شَحْرُورِي نَاقدًا

عُمَرُ عَبْدُ الرَّحْمَنْ *

مُقْدِمة

تَسْتَهِدُ هَذِهِ الْإِرَاسَةُ وَاحِدًا مِنْ أَشْهَرِ الْأَدْبَاءِ وَالنُّقَادِ الْفَلَسْطِينِيَّينَ، صُبْحِي شَحْرُورِيُّ، كَاتِبُ الْقُصَصِ، وَالسَّرِدِيَّةِ التَّجَرِيبِيَّةِ، وَالإِرَاسَةِ النَّقْدِيَّةِ.

تَسْلِطُ الْإِرَاسَةُ الْمُضْوِءَ عَلَى مَحَطَّاتٍ مِنْ سِيرَةِ حَيَاةِ الْأَدِيبِ، كَمَا أَنَّهَا تَتَنَاهُولُ – بِإِيمَانٍ أَكْبَرٍ – أَهَمَّ دَرَاسَاتِهِ الْأَدْبَيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ. إِضَافَةً لِذَلِكَ فَإِنَّهَا تَرْكَزُ عَلَى الْأَسَالِيبِ وَالظَّرَائِقِ وَالنَّظَرَيَّاتِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا شَحْرُورِيُّ فِي دَرَاسَاتِهِ. وَلَمْ يَكُنْ يَتَسَوَّلُ لِلْبَاحِثِ جَمْعُ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ إِلَّا بِالْأَطْلَاعِ عَلَى أَهَمِّ مَنْجَزَاتِ الْأَدِيبِ، سَوَاءً أَكَانَ فِي الْقُصَصِ أَمْ فِي النَّقْدِ، عَلَوْةً عَلَى مَقَابِلَتِينِ أَجْرَاهُمَا الْبَاحِثُ مَعَ الْأَدِيبِ.

السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ.

وُلِدَ صُبْحِيُّ مُحَمَّدُ ذِيْبُ شَحْرُورِيُّ فِي بَلْدَةِ بَلْعَـا - طَوْلُكَرَمُ - عَامَ 1934م، فِي أَسْرَةِ فَلَاحِيَّةٍ تَعِيشُ عَلَى الزِّرْاعَةِ، دَرَسَ فِي كُتَّابِ الْبَلْدَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَدْرَسَةَ بَلْعَـا الْأَمْرِيَّةَ وَتَخَرَّجَ مِنْهَا فِي الصَّفِّ السَّابِعِ الْابِتدَائِيِّ، وَمِنْهَا انتَقَلَ إِلَى مَدْرَسَةِ طَوْلُكَرَمِ الثَّانِيَّةِ (الْفَاضِلِيَّةِ) فِيمَا بَعْدَ، وَتَخَرَّجَ مِنْهَا حَاصِلًا عَلَى شَهَادَةِ الْاجْتِيَازِ الْعَالِيِّ الْفَلَسْطِينِيِّ، وَهِيَ مَا كَانَتْ تَسْعَى بِشَهَادَةِ (الْمَتَّرِكِ).

عَمِلَ شَحْرُورِيُّ فِي الْكِرْكِ مَعِلِّمًا، ثُمَّ نُقْلَى إِلَى مَدْرَسَةِ مَعَانِ الْأَسَاسِيَّةِ، وَفِي الْعَامِ 1956م نُقْلَى إِلَى مَدْرَسَةِ عَنْبَتِي الْأَمْرِيَّةِ، حِيثُ دَرَسَ فِيهَا مَدَةً 10 سَنَوَاتٍ، انتَقَلَ بَعْدَهَا لِيَعْلِمَ فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي تَعْلَمَ فِيهَا (الْفَاضِلِيَّةِ) فَدَرَسَ فِيهَا 3 سَنَوَاتٍ، مِنْ ثُمَّ نُقْلِى إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْعَدُوَيَّةِ لِلْبَنَاتِ لِيَقْضِي فِيهَا 8 سَنَوَاتٍ، ثُمَّ يَنْتَقَلُ إِلَى مَجَالِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ،

* باحث - وزارة التربية والتعليم - جنين - فلسطين.

ليحاضر في (كلية الحسين الزراعية/ الخضوري)، وفي هذه الرحلة التعليمية في المدارس المختلفة في المناطق المختلفة، علم شحروري مواضيع الطلبة كافة، سواء العلمي منها أم الإنساني، وأحبه طلابه لقربه منهم، وإيمانه بأن التعليم رسالة، رسالة بناء الذات والمجتمع.

في عام 1968 م حصل شحروري على إجازة في الفلسفة، من جامعة دمشق بتفوق، وفي بداية الثمانينيات يلتحق شحروري ببرنامج الماجستير في التربية في جامعة النجاح الوطنية، ويتخرج بامتياز...

وقد أفاد شحروري أياماً إفادة من دراساته الجامعية في الفلسفة والتربية، سواء أكان ذلك في مجال التربية والتعليم، وطرائق التدريس، والآيات التواصل مع الطلاب، أم كان ذلك في مجال العمل السردي، والكتابات النقدية، وعملية البناء الروائي أو القصصي^(*). بدأ شحروري نشاطه الأدبي عام 1955 م، حيث كان مدرساً في مدينة معان في الأردن، بقصص أذيعت من إذاعة رام الله في ذلك الوقت، ثم في الكتابة في الصحفة الأدبية في جريدة "الجهاد المقدسية"، وأول قصة لصبي الشحروري نشرتها له مجلة "رسالة التربية اللبنانية"⁽¹⁾.

وقد برز اسم صبي شحروري في مجلة "الأفق الجديد" في ستينيات القرن الماضي، مما أن تذكر مجلة (الأفق الجديد)، حتى يُذكر الجيل الجديد، ومن بينهم صبي

* أخذت هذه المعلومات عن سيرة حياة صبي شحروري من:

- موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، محمد حمادة، سورياً، سنة 2000 م.
- مقابلة مع الباحث شحروري في 2014/2/8 م.
- ١ - مقدمة الناشر، المعرفة القديم، مجموعة قصصية، منشورات البيادر، القدس، ط١، سنة 1983 م، ص.3.

شحوري. يقول يحيى يخلف: "تعرفت إلى صبيحي شحوري في مطلع السِّتَّينيات، وأنا طالب في الثانوية، حيث كنت أقرأ قصصه على صفحات مجلة "الأفق الجديد" التي كانت تصدر في القدس، والتي لعبت دوراً كبيراً في ولادة أدب فلسطينيٍّ جديد، رافق مرحلة الإرهاسات التي تبلورت فيها الهُويَّة والشخصية الوطنية الفلسطينية، وسبقت انطلاقة الكفاح المسلح وبشرت بها..."⁽¹⁾.

"كان صبيحي شحوري أحد أهم كُتاب القصَّة القصيرة الذين دأبوا على نشر قصصهم في مجلة "الأفق الجديد" وثمَّ من يخطئ في اعتباره من الجيل الذي اصطلاح على تسميته فيما بعد "جيل الأفق الجديد"، فهو أسيق من هذا الجيل في مضمار الكتابة الإبداعيَّة والصحفية، لأنَّه ابتدأ الكتابة منذ العام 1955م"⁽²⁾.

وعن هذه المرحلة يحدِّثنا شحوري: "لالأفق الجديد فضائل كثيرة علينا معاشر الكتاب - وخصوصاً الفلسطينيين - في الأفق وجدنا المكان يتَّسع لرؤانا الفكرية والأدبية والثقافية، ويتطورها، وفي الأفق توطَّدت علاقاتنا، فكانت المجمع الكبير، والنادي الأدبي الذي يجمعنا، ويلمُّ شتاتنا، فمن أصدقائي الذين لا أنساهم الأدب الشَّهيد ماجد أبو شرار، الذي ربطني فيه علاقة حميمية... ولقد علَّمنا الأفق الجديد، أن نقرأ مختلف الآداب ونطلع على تنوع المدارس الأدبية والنقدية، وفي الأفق اطلَّعنا على الوجودية من خلال الأديب سهيل إدريس رئيس تحرير مجلة الآداب اللبنانيَّة، وتعلَّقنا بالفكر الوجودي - مع أنَّنا كنا نقرأ الفكر ولا نجيد فهمه - ومع هذا استطعنا توظيفه إلى حدٍ ما في إبداعاتنا الأدبية... وفي الأفق الجديد كانت بدايات التَّحوُّل عندي من كتابة القصَّة القصيرة إلى الدراسات النَّقدية، حيث بدأت

¹ - يخلف، يحيى، الحياة الجديدة، 4 كانون الأوَّل، عام 2013م، العدد 6494.

² - شقير، محمود، "صبيحي شحوري... المُثَفَّ الذي لا يساوم"، مجلة الشُّعراء، فلسطين، خريف 2004م، العدد 26.

هذه المرحلة بكتابه مقال في زاوية "مناقشات" في تلك المجلة بعنوان "نمر سرحان، وماجد أبو شرار... إلى أين؟"، وكان المقال عبارة عن دراسة نقدية لإنجاح هذين الأديبين، ولكن - وللأسف - رفض رئيس تحرير الأفق الجديد "أمين شتار" نشر المقال، بدعوى أنّي متفرغ لكتابه القصّة ولم أتفرّغ لكتابه النّقد - مع أنّي أجيد الكتابة النّقدية- باعتراف الشّتار نفسه⁽¹⁾.

"منذ حمل العلم في خمسينيات القرن الماضي، وهو معنىًّ بهموم حركتنا الثقافية، متفاعل معها ومع ما تطرحه من نتجات ثقافية مختلفة، لذلك لم يكتفِ بالاهتمام بالقصّة القصيرة التي كتبها منذ مطلع شبابه، بل إنّه كرس جزءاً غير قليل من اهتمامه لكتابه النّقد الأدبي، نقد الشّعر والقصّة والرواية، وأعطى في ذلك نتاجاً متميزاً، بسبب قدرته على تذوق النّصوص الأدبية، والتّعاطي معها دون مجاملة أو اعتبارات شخصيّة، وبسبب الحرص على متابعة أحدث النّظريّات النّقدية واستيعابها والاستفادة منها عند النّظر إلى نتجاتنا الثقافية المحليّة"⁽²⁾.

لقد كتب شحوري وبموسوعية لافتاً في القصّة القصيرة والرواية، والنّقد الأدبي في غير مجلة أدبيّة ثقافية، وحرّر عشرات المقالات الأدبيّة التي تميّزت بعمقها، وصدقها، وجرأتها، تلك الجرأة التي سبّبت كثيراً من المشاكل للكاتب. ومع كلّ هذا فقد استطاع شحوري أن يقيم أفضل الروابط بين الأدباء والكتاب الفلسطينيين، وخصوصاً من كان منهم وراء الخط الأخضر، ومن تجليات هذه العلاقة تلك المكتبة الأدبيّة التي أنشأها شحوري في طولكرم، وأصبحت بؤرة مكتبات أخرى، خصوصاً في الداخل

¹ - مقابلة الباحث لشحوري 8/2/2014م.

² - شقير، محمود، "صحي شحوري... المثقف الملتم"، مصدر سابق.

الفلسطيني، حيث كانت تلك المكتبة موئلاً يزوره أدباء الداخل والمهتمين بالكتب الأدبية⁽¹⁾.

ولأسباب عديدة يتوقف نشاط الشّحروري الإبداعي بعد عام 1967م، "وصبّي شحروري لم ينشر حتّى صدور البيادر في آذار 1976م سوى مقال وقصة قصيرة وأخرى مترجمة^(*)، ثمَّ أخذ ينشر فيما بعد تحت اسم مستعار وهو "أبو نضال" وأشار إلى سبب صمته حين كتب في البيادر قائلاً: "ولقد كنت دائمًا أعتقد أنَّ الصحافة اليومية، وحتّى صفحاتها الأدبية الأسبوعية، ليست هي المنبر لنشر الأدب الإبداعي الجاد لأسباب عديدة أهمُّها: أنَّ قارئ الجريدة سياسيٌّ في الغالب لا يحفل بالأدب، لذا أرى أنَّ الأديب الجاد يعزف بطبيعته عن الصُّحف اليومية، رغم أنهما في كثير من الأحيان تحقّق له الانتشار الأوسع إنْ كان مشهوراً، وتكتسبه الشُّهرة إنْ كان ناشئاً"⁽²⁾.

ويتابع شقير في استعراض أسباب توقف الشّحروري عن الكتابة: "كانت حرب حزيران العام 1967م قد وقعت، وتركت أثراً سلبيًّا على كثير من مظاهر حياتنا المختلفة، ومن ضمنها بطبيعة الحال الثقافة ومنابرها القليلة التي كانت متوفّرة قبل الحرب، فقد توقفت مجلة "الأفق الجديد" عن الصُّدور، وهي الرِّتة التي كنّا نتنفس من خلالها، (توقفت قبل الحرب بأشهر بسبب ضائقة مالية) وتوقفت صحيفة القدس اليومية عن الصُّدور مدة تجاوزت السنة بسبب ظروف الاحتلال وإجراءاته

¹ - مقابلة الباحث لشحروري 8/2/2014م.

* مقالة بعنوان "أهمية بين السطور"، القدس 25/6/1971م. والقصة القصيرة بعنوان "الحملة"، القدس 23/7/1971م، وهي ضمن مجموعته القصصية "المعطف القديم" المترجمة بعنوان "خيط الوهن الأزرق" لأرسكين كالديوبل، القدس 20/8/1971م.

² - الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، 1967-1981م، نابلس، 1983م، ص 8 وما بعدها.

غير الطبيعية، وتبعد الكتاب الذين كانوا يتجمعون من حول مجلة الأفق الجديد، وتوقف عدد منهم عن الكتابة لفترات مختلفة، كما توقف بعضنا الآخر عن الكتابة بسبب الصدمة التي أحدثها الاحتلال...⁽¹⁾.

إضافة لسعة قراءاته وتنوعها وعمقها، "يمتاز شحوري بالتواضع الجم والبساطة التي تجعله قريبا من الناس، وهو أبعد ما يكون عن التعالي وعن التباهي بحصيلته الثقافية الواسعة، وهو أبعد ما يكون كذلك عن توظيفها للمساومة أو لإحراز مكاسب شخصية أو مصلحية، وشحوري زاهد في متع الحياة وفي هرج المكاسب المادية، وكذلك في الوظائف العامة والامتيازات الشخصية، إنه المثقف الساعي إلى الحقيقة، وهو مسلح بالصفاء وبالتجدد والتبدل، إنه الرجل الذي ما زال ينظر إلى القيم باعتبارها علامات على سعي البشر إلى ما هو أبهى وأجمل".⁽²⁾

فاز شحوري في أكثر من مسابقة، وكُرم في أكثر من موطن، أهمها جائزة وزارة الثقافة التي تحمل اسم الشاعر الفلسطيني توفيق زياد عام 1996م.

يقول شحوري عن مراحل تجربته الإبداعية:^(*)

"يربطني كثير من الكتاب والقادة بمجلة الأفق الجديد، ويقولون إنني من جيل الأفق الجديد، ولكي أقول: لقد كان لي نشاط كبير وملحوظ قبل صدور الأفق الجديد بحوالي خمس سنوات، حيث تابعت في هذه الفترة المجالات التي كانت تصدر في بيروت (عاصمة الثقافة العربية) في خمسينيات وستينيات القرن الماضي بعد القاهرة، ومن هذه المجالات "الأدب"، وتأثرت بالقصص العراقية التي كانت تصدر في بيروت،

¹ - شقير، محمود، صبحي الشحوري... المثقف الذي لا يساوم، مصدر سابق.

² - ن.م.

* - مقابلة الباحث لشحوري 15 / 5 / 2014 م.

ويمكن أن يكون ذلك هو سبب اهتمامي بالقصة القصيرة، إضافة لذلك فقد اتصلت قراءة وكتابة بمجلات ذات طابع أيديولوجي مثل "الآداب" ذات الطابع القومي، و"الطريق" الماركسيّة، ومجلة "شعر" التي بشّرت بقصيدة الثّنر، وهي مجلة ليبراليّة غربيّة...

ففي الآداب اللبنانيّة، التي يرأس تحريرها "سليم إدريس" كتبت قصة بعنوان "ضيف في الزّوّيَّة"، وتدور حول قصة سفرى من سوريا إلى الحمّة الفلسطينيّة ورؤيتي لأول مرّة لمدينة طبريا وبحيرتها⁽¹⁾.

كما نشرت في الآداب قصّي الشّهير "نوار" عام 1964م، التي فازت بجائزة الأردن في القصّة القصيرة، ونشرت أكثر من قصّة في مجلة رسالة التربية اللبنانيّة، وهي قصص ذات طابع تربويٍّ مثل قصّة "رذاذ بارد"، وقصّة "يأس ورجاء"، بالإضافة إلى هذا تابعت مجلة "القلم" التي كان يصدرها عيسى النّاعورى، وكلّ هذا يثبت أنّي من جيل سابق لجيل الأفق الجديد، تلك المجلة التي صدت عام 1961م، وتوقفت عام 1966م.

مؤلفاته:

أنجز شحوري العديد من المؤلّفات التي تنوّعت بين قصّة قصيرة، ورواية، وكتاب نقديّ، ناهيك عن عشرات الأوراق البحثيّة والأدبية، والمقالات النّقدية التي نشرها في مختلف الصّحف والمجلات المتخصّصة. وفي هذا البحث سنسلط الضّوء على بعض من هذه الدراسات والأبحاث والأعمال الأدبية والنّقدية.

¹ - شحوري، صبيحي، قصّة "ضيف في الزّوّيَّة"، الآداب، العدد الرابع، نيسان 1964م، السنة 12، بيروت، لبنان.

أ- القصص والروايات:

1- المعطف القديم. مجموعة قصصية-منشورات البيادر، القدس، ط1، سنة 1983 م.

تتضمن هذه المجموعة القصصية تسع قصص قصيرة، وتعتبر من الإنجازات الأدبية الأولى لشحوري، وقد كتبها على فترات متباينة تصل العشرين عاماً أي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي.⁽¹⁾

وتتمحور هذه القصص حول الأرض، ذاك المحور الذي ما انفك كل أنشطة شحوري الأدبية تدور حوله، فوصف الأرض، ووصف علاقة الإنسان بها، كما وصف ممارسة الإنسان على هذه الأرض، والحسنة التي تملؤه من نهب الحركة الصهيونية للأرض الوطن... أرض فلسطين... وليس من قبيل المبالغة إذا قلنا إنَّ الصورة التي يظهر فيها شحوري في قصصه هي صورة الفلاح الفلسطيني الذي يمتلك محبة للأرض... وحيث يتماهى الإنسان مع الأرض "أبو العبد لم يكن يبدو عليه أنه يهرم، بل لقد استحال في نظري إلى معلمٍ من معالم القرية تماماً كأزقتها المترجلة الضيقة، وأكواخها الطينية الملتقة..."⁽²⁾. ويزور السارد العم أبو العبد في مرضه، وتعمل عدسة المصوِّر، وتنتج رسوماتها الدقيقة في البيت، حتى ليُخيَّل إلينا أننا ندخله مع السارد... "كانت الغرفة كما أعهدناها من قبل، باب صغير مطموس اللون في الجنوب، وقوس الفراش في الصدر، وإلى الغرب خزانة البيرو الصغيرة، تُظلِّلها كوة هي مصدر الثور الوحيد عندما يُغلق الباب، وحصیر تعرَّت خيوطه لكثرة ما وطئته الأقدام، لكنَّ الجدران كانت عارية من كل شيء تقريباً، فقد اختفت الأطباق القشيشة"

¹ - شحوري، صبحي، المعطف القديم، مجموعة قصصية، منشورات البيادر، القدس، ط1 سنة 1983 م، ص.5

² - ن.م، ص.13

المزوقة، التي كانت أم العبد تتفنّن في صنعها، والمكحلة المطعمة بالخرز يتوجّها مرواد طويل مطهّم، والمهدّة الحريريّة النّاعسة... كانت المسامير والأوتاد عارية تبعث الكآبة في التّنفس...⁽¹⁾.

إِنَّها لوحّة تراثيّة عبقة براحة الأدوات، وأجواء العُقود الفلسطينيّة الطِّينيّة العتيقة، اعتمد فيها السَّارد أسلوب التَّصویر، وكأنَّ السَّارد فيها أحياناً كثيرة مجرّد عدسة ترِكّز على عدَّة أماكن وعلى عدَّة جوانب في آن⁽²⁾.

وفي قصّة "الزَّامور"، يكثِّف السَّارد النَّكبة الفلسطينيّة ويلخّصها في سائق السيّارة الفارهة التي كانت تقلُّ الرُّكاب من طولكرم إلى يافا، ولمَّا سقطت يافا، تغيّرت السيّارة وأصبحت تقلُّ الرُّكاب من طولكرم إلى نابلس، وتعدّدت سيّارات الرَّجل التي اقتناها ولكنَّ الزَّامور بقي ثابتاً... وترمز القصّة إلى معنى الثّبات وبقاء جذوة الهُويّة، والارتباط بالأرض.

"لقد ظلَّ الرَّجل وفيأً لزاموره حتَّى النَّهاية، كان يصرُّ على الاحتفاظ به، كلَّما باع سيّارة ليقتنى أخرى، ويوم دارت عجلات الفورمود السَّوداء لتتجه نحو الشّرق حين لم يعد باستطاعتها أن تتجه نحو الغرب."⁽³⁾

وطعم المأساة باقٍ في حلق السَّارد، وهو ينظر من بلدته (بلعا) المطلّة على شواطئ البحر المتوسط، فيرى التُّرى السَّليب، ويرمز إليه السَّارد بعبارة (الطرف الآخر

¹ - شحروري، المعطف القديم، مصدر سابق، ص 19.

² - الأسطة، عادل، سؤال الهويّة، فلسطينيّة الأدب والأديب، دار الشُّروق للنشر والتَّوزيع، رام الله، المنارة، ط 1 سنة 2000م، ص 65.

³ - شحروري، المعطف القديم، مصدر سابق، ص 42.

الأخضر)، ففي قصة "الحملة" وأشجار عالية هرمة من الكينا طالما منعتني من تسريح طرف في الطرف الآخر الأخضر⁽¹⁾.

وفي قصة الطرف الآخر الأخضر إنك لنبحث عن طعم المأساة، إنك تستلهم ذاتك، تعصرها عصراً، تنبش ركناً مهجوراً في أعماق أعماقك، وإنّ فركام الطين التفت من سنتين، والحدُّ بينه وبين ما تدعوه الطرف الآخر الأخضر قائم منذ زحفت الأمواج المذعورة على هذه المدينة الصغيرة⁽²⁾.

وفي قصة الرّامور "هذه الأرض لم أكن أعرف عنها شيئاً سوى ما كنت أراه من قمة الجبل الذي تقع عليه بلدي الصغيرة، و سوى ما كنت أقرأ عنها في كتاب الجغرافيا، وما قاله عنها ابن خالي من أنها تشبه الجنة"⁽³⁾.

وفي قصة "الطرف الآخر" يقارن السارِد بين حياة الشاطئ الجميل، والزَّمن الجميل، وحياة المشردين المعدّين في مخيّمات الطين والتّنك والفقر...⁽⁴⁾. ولم يكتف السارِد بعقد مقارنة سطحية بين نوعين متناقضين من الحياة، بل صوّر وبأدِق التفاصيل الاختلاف في ممارسة الإنسان وسلوكه تبعاً لبوتقة حياته التفاعليَّة في الرَّمان والمكان، ورصد هذا الاختلاف، وأشار إليه "كان الفضاء الرَّحب يباعد ما بين الكبير والصغير فيخلق للكبير في نفس الصغير مهابة تدفعه إلى أن يهوي على يده مقبلاً، كان الزوج لا يعود إلى زوجته إلاّ بعد رحلة بعيدة يكون قد جنى بها خيرات أرض معطاء مفتوحة الصدر، كان يعود مع صهيل الخيل وجعير الجاموس، وكانت الزوجة تنحنى

¹ - ن.م، ص26.

² - ن.م، ص84.

³ - ن.م، ص27.

⁴ - شحروري، المعطف القديم، قصة الطرف الآخر الأخضر، مصدر سابق، ص85.

لتعلق بلسامها عرق يده الخشنة، كانت تستنفذ كل رقّتها وخشونتها في إرضائه لأنّها كانت مهدّدة بثانية وثالثة.

والليوم استحال شطآن الرّمل الواسعة إلى أزقة طينيّة مظلمة تعج بالوحش، ورب الأسرة لم يعد الفارس المطوّف الذي تنتظره جارية وفيّة، إنّه ينحشر وصغاره في زريبة يطالعهم وجهه كلّ ساعة وتمتلئ نفوسهم بأيات ضعفه وعيّه⁽¹⁾. ويُشحن الشّحوري اللّغة العاميّة حتّى تتوهّج طاقة جديدة تعبّر عن معانٍ الفلاحين الفقراء، والمشرّدين المعذّبين "قطعت أهلها وهي تمطر"⁽²⁾، كنت لا أسلم من الطّس⁽³⁾، "سأدن نفسي في الموج"⁽⁴⁾، أنا رّيتك على إيدي⁽⁵⁾.

وليس من الصّعب على الباحث أن يستنتج أنَّ السَّارد منحاز لهموم وطنه، وأبناء شعبه، فهو صاحب قضيّة يحملها أينما كان، وأينما ارتحل، وهو في صفيّ الفقراء الكادحين المقهورين الذين يواجهون قهراً طبعاً وقبراً من الاحتلال "إنّهم يعيشون في المخيّمات، ولا شكَّ بأنَّ هؤلاء السَّادة يتربّون بصورهم ليلاً، وينذهبون للنّوم في المخيّم، النّوم هناك مريح، والبيوت التّنكية والطّينيّة توفر جواً من الودِّ الذي عرف به أبناء شعبنا...".⁽⁶⁾

¹ شحروري، المعطف القديم، قصّة الطرف الآخر الأخضر، مصدر سابق، ص.85.

² شحروري، المعطف القديم، قصّة الطرف الحملة، مصدر سابق، ص.25.

³ شحروري، ثالث ليال فلسطينيّة جداً، المؤسّسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، رام الله، ط 1، سنة 2003م، ص.22.

⁴ ن.م، ص.57

⁵ ن.م، ص.59

⁶ شحروري، المعطف القديم، مصدر سابق، صفحة 42.

ولا يكتفي بسرد الصّراع بين الشّخصوص الإنسانية، بل يأخذ الصّراع شكلاً رمزيًّا بين الأشياء، للتدليل على اتساع رقعة الصّراع في كلّ الفضاء الروائي: "وَيَدُ التِّلْفُونُ السَّوْدَاء تُشِّي بالثَّنَاقْضِ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ"⁽¹⁾، ويقول مخاطباً الخُشَّةَ وشجرة التّين "الْخُرْطُمَانِيُّ" ، "وَأَنْتَ أَيَّهَا الْخُشَّةُ وَفَوْقَ الْعَرِيشَةِ، أَلمْ نَهْدِمْكَ بَعْدَمَا أَقْمَنَا أَمَامَكَ بَيْتًا حَدِيثًا، وَأَنْتَ أَيَّهَا التَّيْنِيَّةُ الْخُرْطُمَانِيَّةُ الْكَبِيرَةُ لَقَدْ يَبْسَطَ، بَقِيَ جَذْعُكَ نَاتِّيَ فِي الرَّبْحِ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَهُ السُّوسُ وَيَهُوِي...".⁽²⁾

ويمكن تلخيص قصص المجموعة على النحو الآتي:

1. **المطفف القديم:** تدور حول ممارسات رجل فقير يعمل حارساً في البلدة، يعطيه السّارد معطفه كي يبدو أنيقاً أمام أصحابه الجدد.
2. **الحملة:** وتدور حول فيضان يغمر البلدة، فهُبُّ النَّاسُ لإنقاذ الدُّور المغمورة بالماء.
3. **الرَّازِمُورُ:** سائق سيارة من يافا إلى طولكرم، تسقط يافا بيد الصّهابينة فيتحول خطُ سير السيارة إلى طولكرم - نابلس.
4. **معلِّم وتحيَّة:** وصف لأيام دراسية، وحياة معلِّم بين صفوف الطّلبة.
5. **سَلَّةُ التَّيْنِ:** يصل السّارد للبلدة من مكان عمله بعيد، فتتعهد أخته بإعطائه سلة تين، تصحو من الصّباح الباكر إلى الحقول البعيدة لجلب التّين، ولكنه لا يستطيع انتظارها، لأنَّ سائق السيارة ملأ الانتظار...
6. **تمارين في كتابة سيرة ذاتية:** بعض تفاصيل حياة السّارد في المكتبة الخاصة التي أنشأها، وعلاقتها بالمحيط.

¹ شحروري، ثلات ليال فلسطينية جداً، مصدر سابق، ص 39.

² ن.م.، ص 60.

7. **الطرف الأخضر الآخر:** تأملات السارد وهو ينظر غرباً من بلدته "بلعا"، إلى الوطن السَّلِيب.
8. **رأس الشَّيخ والقطار:** تدمير العصابات الصُّهيونية للقطار الذي يمرُّ من طولكرم، ووقوع قتلى وجروحى، بينهم قريب السَّارد.
9. **زكي باع عود:** تصوير لعلاقة السَّارد بطفلته، والتحاقها بالرَّوْضة، وتعلمها الحروف الْهَجَائِيَّة.

2- الدَّاخِل والخارج:

صدرت هذه المجموعة القصصيَّة عن منشورات شمس في المثلث عام 1993م، وتتضمن المجموعة تسع قصص، ويمكن تلخيص مضمونها على النحو الآتي:

- **قصَّة الدَّاخِل والخارج:** (ص 9- 20)
القصَّة الأولى في المجموعة، وتسَمَّت المجموعة باسمها، تحكي قصَّة فلاح تستشهد زوجته في مظاهرة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ويظلُّ يبحث عنها ويرفض الرَّواج من أخرى، ولعلَّ في ذلك ترميًّا للثبات على المبدأ في المكان.
- **العرس:** (ص 22- 27)
في منع التَّجُول، يرى الجنود رجلاً رثَّ الثِّياب متسخها، فيأمرون الأهالي والمختار بالعناية بالرَّجل، بينما الرجل مثل عريس، تقوم محطة تلفزيونية بتصويره، وفي منع تجول آخر، يطلق جنود الاحتلال النار على العريس ويقتلوه.
- **آني لو يحرِّزقل :** (ص 30- 34)
يتحدَّث السَّارد عن قصَّة والد يحضر محكمة إسرائيليَّة تحاكم ابنه المتهم بالانتماء لفصائل المقاومة، ويظهر في النَّصِّ: القاضي، والمحامي، والظلم والمعاناة.

- **عندنا الكاوتشوك يزهـر:** (ص 36-43)
يتحـدث النـص السـردي عن شـاب اسـمه رـشـاد، يـشارـك في مـظـاهـرة، ويـشـتكـي مع جـنـود الـاحتـلال، ويـتـشـهد، وـتنـطلق بـعـد اـسـتـشـهـادـه حـكاـيات تـدـلـل على كـرـامـة الشـهـداء.
- **يوم شـنق مـحـمـود العـبـد الرـحـيم:** (ص 46-56)
يـقصـنـ النـصـ حـادـثـة شـنقـ الشـهـيدـ مـحـمـودـ العـبـدـ الرـحـيمـ فـي عـكـاـ، ويـصـفـ السـارـدـ الحـزـنـ الـذـي رـافـقـ تـلـكـ الشـهـادـةـ، وـالـشـعـورـ بـالـعـزـةـ.
- **الـولـدـ وـالـفـرسـ:** (ص 58-63)
طـفـلـ يـركـبـ فـرـسـاـ منـ الـحـقـلـ، وـيـعـودـ إـلـىـ الـبـيـتـ، يـلتـقـيـ بـجـنـودـ الـاحـتـالـلـ، فـيـوـسـعـونـهـ ضـربـاـ، ثـمـ يـلتـقـيـ بـالـشـبـابـ وـيـشـارـكـهـمـ مـظـاهـرـاتـهـمـ وـمـقاـومـتـهـمـ لـلـمحـتـلـ.ـ
- **إـنـهـمـ يـشـهـرونـ المـنـاجـلـ وـرـاءـ السـيـاجـ:** (ص 66-70)
تـدورـ القـصـةـ حـولـ قـرـوـيـنـ يـدرـدـشـونـ فـيـ حـافـلـةـ تـقلـلـهـمـ...ـ
- **طـرـيقـ الـأـبـنـاءـ:** (ص 72-75)
يـدـورـ السـرـدـ حـولـ مـعـانـاةـ رـجـلـ اـعـتـقـلـ اـبـنـاهـ، وـحـوارـ الزـوـجـ مـعـ زـوـجـتـهـ حـولـ استـحقـاقـاتـ الـمـحـاـميـ، وـموـاعـيدـ زـيـارـةـ الـمـعـتـقـلـينـ.
- **الـقاـوـوشـ:** (ص 78-83)
تـرـتـيبـ هـذـهـ القـصـةـ بـسـابـقـهـاـ، حـيثـ يـصـفـ السـارـدـ فـيـهـ رـحـلـةـ زـيـارـةـ الـمـعـتـقـلـ فـيـ بـئـرـ السـبـعـ، وـيـبـيـنـ تـعـاطـفـ أـهـالـيـ الـمـعـتـقـلـينـ مـعـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـفـوارـقـ الـطـبـقـيـةـ بـيـنـهـمـ.
- ولـسـنـاـ بـصـدـدـ درـاسـةـ هـذـهـ المـجـمـوعـةـ درـاسـةـ نـقـديـةـ مـسـتـفـيـضـةـ، إـذـ أـنـ المـجـالـ لاـ يـتـسـعـ لـذـلـكـ، وـلـكـنـ باـسـتـطـاعـتـناـ تـسـليـطـ الضـيـوءـ عـلـىـ الـظـواـهـرـ السـرـدـيـةـ الـآـتـيـةـ:

- السَّارد في هذه النُّصوص سارد كامل المعرفة بشخصه، يعرفها بسماتها وبسلوكياتِها، "الدَّح بقى إزقط حراذين من حواكير الرَّاس... بقى إسلَ الحرذون من تحت الشَّجر ويذبحه ويدهن إديه بدُمه، وعلى عبد اللَّطيف دير شرف معلم العربي والدين دُغري... إقلُوا أضراب..."⁽¹⁾.
- السَّارد فلَاح، يفهم الْهَجَةُ الْقَرْوَيَّةُ تاماً، وهو يقوِّل شخصه بلهجتهم، في حين يكتب السَّرد بالفصيحة...
"شغلتها هي هي لعينة هالوالدين، طول عمرها بتنظر هالحجارة ع بيته وحده"^(*)، وصَرَارةُ فوق صَرَارةٍ، وإن سَخَلْ حبَّ يتعَزَّ وسَقَطَ له صَرَارَتِينِ الْقِيَامَةِ بِتَقْوِيمِ وَمَا حَدَّ بِيَسْلَمِ مِنْ لِسَانِه."⁽²⁾
- وفي السَّرد يوظِّف السَّارد اللُّغَةُ الْفَصِيحةُ الْمِيسَرَةُ، يلْحِقُها بلهجةِ المُتَحاورِينَ: " جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الشَّارِعِ يرْكَضُ... دونَ أَنْ يَنْتَظِرْ سُؤَالًا مِنْ أَحَدٍ: وَلَعْتَ - إِيشَ فِيهِ؟ - ثَلَاثَ قَتْلَى جَابُوهُمْ عَلَى الْمُسْتَشْفِي...".
- السَّارد مغرم بتوثيق المكان، يصوِّرُه بادِقٍ جزئياتِه، "هذا زقاقهم، وعلى يمينه في الأعلى ساحة بير الشَّيد، وعلى يساره في الأسفل زقاق دار المصري..."⁽⁴⁾. كما يرسم

¹ - شحوري، صبيحي، الدَّاخِلُ وَالْخَارِجُ، مجموعَةُ قصصيَّةٍ، منشورات شمس، باقة الغريبة، ط. 1، سنة 1993م، (قصَّةٌ إِلَيْهِمْ يَشْهُرُونَ الْمَنَاجِلَ وَرَاءَ السَّيَاجِ)، ص. 67.

² - المقصود أنَّ الفلاح كان يبني سلسلة ع بيتين... أي جدار حجري، وأخر يوازيه وما بينهما حجارة صغيرة وتراب، وهذا سلسل حجري قويٌّ، والوارد في النَّصِّ بَتَّةً واحِدة... أي حجر فوق حجر، كما يبني الطُّوب، وهذا سلسل غير قويٍّ.

³ - ن.م، قصَّةُ الدَّاخِلُ وَالْخَارِجُ، ص. 9.

⁴ - ن.م، قصَّةُ "عَنْدَنَا الْكَاوْتُشُوكَ يَزْهَرُ"، ص. 36.

⁴ - ن.م، قصَّةُ "الدَّاخِلُ وَالْخَارِجُ"، ص. 10.

المحيط الملائم للحدث، ففي قصة استشهاد رشاد "إِبَدَ الْجُوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ السِّتَّائِي الْبَارِدِ، ثُمَّ اكْفَهَرَ، وَتَطَايِرَتْ عَصَافِيرٌ مَحْوَمَةٌ كَأَنَّ حَيَّةً تَهَدَّدُ فِرَاخَهَا، رَبَحَ قَوْيَةً كَانَتْ تَجَارُ بِالْمَكَانِ وَتَعْرِيدُ فِيهِ".⁽¹⁾

وعند دفن الشهيد محمود العبد الرحيم نجد الصورة الحزينة نفسها تقريباً "عصافير محومة" كانت تطير من الصنوبر فوق الخليل، وتستقر على رؤوس أشجار المشمش تشهد المنظر، وفي الأعلى غيم أبيض رباعيٌّ كان يجتاز السماء بتمهل، وهو يشهد المنظر أيضاً.⁽²⁾

- يوظف السارد ضمير الغائب بشكل عام، لكنه وظف الفعل المضارع بشكل لافت في قصة "الولد والفرس" تنحدر به الفرس... وتستقر به على الجانب الأيمن، يقول هذا، ثم ينهي المحاورة... يجرب كل الأماكن.⁽³⁾

وفي المقابل يدور السرد من خلال ضمير المتكلّم في قصة "طريق الأبناء" "أناديه بصوت خفيض، أدور حول سريه، أنظر إلى وجهه، أعرف أنه نائم".⁽⁴⁾

- يحفل السارد بالموئليات التراثية وكأنه يريد أن يوثقها أيضاً: "حملوه، ولفوا به الشّارع الرئيسي في الحارة الفوقة، وهو يعلو فوق أكفهم وكأنه طابة شرايط حائلة اللّون... أخيراً أنزلوه بباب بيت أبو القمحان، دخل أحدهم البرندة الفواحة وتعريش ونتش قطف عنب لم ينضج بعد".⁽⁵⁾

¹ - شحوري، المصدر السابق، قصة "عندنا الكاوتشوك يزهر"، ص36.

² - ن.م، قصة "يوم شنق محمود العبد الرحيم"، ص56.

³ - ن.م، قصة "الولد والفرس"، ص58.

⁴ - ن.م، قصة "طريق الأبناء"، ص72.

⁵ - الشحوري، الداخل والخارج، مصدر سابق، قصة العريس، ص22.

3- ثلاث ليال فلسطينية جداً:

المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ط1، سنة 2003 م.

يكاد يقرب هذا المنجز السّردي من سيرة الحياة، ولكن ليس بمعناها التّمطيي التّقليدي، أهداه صاحبه "للعزيزين حنان عشراوي، ومحمد البطراوي، كلّ منهما قرص جبن أبيض في حياتي"⁽¹⁾، ويمتدُ السّرد على شكل تداعيات في عدّة أزمان، وعدّة أمكّنة، ففي بلعا "لم أعد إلى الخربة معه، بل ركبت عربة بتعريفة، وعدت مباشرة إلى القرية"⁽²⁾، واضح أنَّ الزَّمن هنا هو بداية الخمسينيات من القرن الماضي من دالَّة التّعرِيفة).

وفي عنبتا، وكفر اللَّبد (بلدان مجاوران لبلعا)، "أمدُّ يدي إلى هناك وأطولك حتَّى لو طرت فوق سهل عنبta، واستحکمت فوق قمة من جبال اللَّبد".⁽³⁾ ويمتدُ النَّصُّ لتصلُ أمكنته إلى طولكرم، والإمارات... وغيرها...
أراد أن يصل إلى طولكرم مبكِّرًا جداً، ليجد مكانًا لحصانه في الخان ويجسم السِّكَّة"⁽⁴⁾.

يهاتف محمود (ابن السَّارد) والده من الإمارات "عارف قدِيش بحبك بسَّ إنت نمرة 2 وعمتي نمرة 1 لأنها تعيش في بلعا وأنت بتعيش في طولكرم"⁽⁵⁾. وتكشف هذه السّرديّات عن هويَّة السَّارد (الكاتب) بصراحة: "في حالي تكرَّر هذا فرحاً بالذكر

¹ - الشّحروري، صبيحي، ثلاث ليال فلسطينية جداً، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ط1، سنة 2003 م.

² - ن.م، ص35.

³ - ن.م، ص61.

⁴ - ن.م، ص35.

⁵ - ن.م، ص94.

الوحيد الباقي في الأسرة، أمّا الذّكر الذي جاء قبلي فقد مات قبل أن يراني أو أراه، وظللت واقعاً بين ميتين، وسيستمرُ هذا الوضع إلى ما شاء الله في عائلة مصر وشحروقتش التي هي عائلتنا، ذلك لأنّنا من مصر أولاً، أقصد العائلة، ومع ذلك ننتي إلى حامولة جاءت من شحر فسموا شحارنة ونمّت منهم شحور.⁽¹⁾

وعلى طريقته يحفل السّرد باللهجة العاميّة (لتلائم الشّخصيّة والموقف): "محمود صرلُ سنين غايب"⁽²⁾، كما تحفل بالصّور الفلاحيّة المكوّنة من الأدوات

ال فلاحيّة مثل:

- ويظُلُّ يتَدَفَّقُ، ويتدَفَّقُ كخابية.⁽³⁾
- أمّا شعره فأفضل منه لساعات نحل حرّاثي هارب من الخلّيّة ويهيم على وجهه ويجد لدّته في القرص.⁽⁴⁾
- كان يلبس مركوئاً أحمر يزفّق عند المشي، وله أذن يشدُّ بها وفوقه ثوب فوقه

^(*) بشّت ...

4- سردّيات ريفيّة / مرآة لجمّر المسافات:

منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، فلسطين، ط 1 سنة 2012 م، ويقع الكتاب في 189 صفحة من القطع المتوسط، بهديه شحوري إلى ولده مثّي.

¹ - ن.م.، ص 66 .

² - ن.م.، ص 19 .

³ - ن.م.، ص 13 .

⁴ - ن.م.، ص 22 .

* - صرلُ: صار له / * نحل حرّاثي: نحل بلدي من النوع الشّرس في اللسع / * مركوب: حذاء / * بشّت: رداء خارجي خشن قصير الأردان.

يقول شحروري في توضيحه لمفهوم السّرديّات "هذه سردّيات ريفيّة، يقوم بعضها على مغامرات طفوليّة، وبعضها على حِبٍ فاشل، وتهتمُ بالفقراء في القرى، تكاد تكون جنساً أدبيّاً جديداً، فيه من الرواية والسيّرة الذاتيّة، دون التّقييد الصّارم بخصائص أيِّ منها... وهناك حوارات عاميّة جعلتها يسيرة وقريبة من العاميّة ما أمكن، ولهذه السّرديّات بعد تراثيٌّ⁽¹⁾. إذن هي جنس أدبيّ جديد، قائم على زمن واقعي عاشه الكاتب، وأحداثه أمور حيّاتيّة حقيقية"⁽²⁾. إنَّ زمان الأحداث هو زمن عشته، وعشت فيه، والأحداث إذن هي أمور حيّاتيّة حقيقية"، وعنده التّميّص في هذه السّرديّات نجدها نظاماً يدور حول المكان، والمسارِد، وممارسات النّاس التي تنتج العلاقات بكلِّ تجلّياتها في فضاء المكان، وليس صعباً على الباحث أن يجد (بلعاً) المكان المرجعيَّ في هذه السّرديّات، ويجد المسارِد الذي هو نفسه الكاتب (صبيحي شحروري) "ينطلق في فضاءات هذا المكان ويؤثّق كلَّ عناصره: تضاريسه، وشخوصه، وعلاقاته... ولعلَّ في هذا النِّظام الذي شَكَّلَ المنجز السّرديَّ تبريراً واضحاً في تغلغل التّراث في هذه السّرديّات، تراث ينبع من بيئه فلاحيَّة تعني بالزراعة وبالرّعي، وتمارس كلَّ طقوسها بناءً على هيكلة إنتاج بسيطة، ملخصُها زراعة - تعهُّد الزراعة - جنى الغلة - ثمَّ بيعها، وهذا النِّظام أيضًا أتاح للمسارِد كليًّا المعرفة المنحازة للفقراء والمقهورين، أن يتحدَّث بجرأة وطلاقه عن تجارب الآخرين، من خلال تجاربه... وتتسند بطولة كلِّ هذه التجارب للفلاح (المسارِد الفلاح) إنْ دقَّ التّعبير..."

¹ - شحروري، صبيحي، سردّيات ريفيّة - مرآة لجمجم المسافات، منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، فلسطين، ط1، سنة 2012م، ص.7.

² - ن.م، ص.7.

فتصف السرديّة بيت الفلاح: "وَجَدُهُمْ كَانُوا خَمْسَةَ عَلَى الْمَصْطَبَةِ الْمُنْحَشِرَةِ فِي الرُّكْنِ الْجَنُوبِيِّ مِنَ الْبَيْتِ، آهُ الْبَيْتِ، فَكُلُّهُ قَاعٌ بَيْتٌ، وَالْحَمِيرُ مُرْبُوْتَةٌ وَمُوزَّعَةٌ هُنَاكَ بِأَنْتَظَامٍ"⁽¹⁾، ويشرح السارد معنى البيت في حاشية

الصفحة: البيت عبارة عن غرفة كبيرة مسقوفة بطريقة القناطر، ومبنيّة بالطين⁽²⁾. وفي موطنٍ آخر، يرينا السارد كيفية إنشاء هذا البيت "بِدَأَ الْبَنَاءَ بِالْأَرْتَفَاعِ... أَزَالَوا الأَخْشَابَ، فَظَهَرَ السَّقْفُ عَالِيًّا وَمَقْوِسًا وَكَانَ هُنَاكَ قَبَّةٌ"⁽³⁾.

وعندما يخرج السارد من البيت الفلاحي الطيني إلى الشارع فإنه يرسم المكان بعدسة دقة لتوثيقه "قَرَرْتُ الْعُودَةَ إِلَى الْبَيْتِ مِنْ طَرِيقِ طَوِيلٍ، كَنَّا نَسْلِكُهُ أَحْيَانًا فِي النَّهَارِ، نَهْبَطُ نَحْنُ أَوَّلًا عَائِلَةَ الْمَصْرِيِّ التَّحْتَ بِقَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ، إِلَى دَاخِلِ حَاكُورَةِ النَّجَاصَةِ، ثُمَّ وَبِعَبْرِيَّةِ خَاصَّةٍ نَهْبَطُ إِلَى قَطَانِ الشِّيْخِ مُسَعُودَ، قَفَزَتْ دَاخِلَ حَاكُورَةِ النَّجَاصَةِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَطَانِ الشِّيْخِ فَقَدْ نَزَّلْتُ مَحَذِّرًا سَلْسَلَةَ حَجَرَيَّةَ طُولُهَا خَمْسَةَ أَمْتَارٍ، أَتَمْسَكَ بِالْأَحْجَارِ مِنْ حَجَرٍ إِلَى حَجَرٍ، وَأَدْسُّ قَدْمِي فِي الشُّقُوقِ".⁽⁴⁾

ويتّسع المكان في سياق آخر ليأخذ شكل المناطق المتفرقة "ما الّذِي تفعله بِيرُ الشَّيْدِ لِكُلِّ هُؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ، إِنَّهَا سَاحَةُ سُحْرِيَّةٍ، وَالْأَوْلَادُ يَأْتُونَ إِلَيْهَا مِنْ أَقْصَى الْبَقْعِ فِي الْحَارَةِ الْشَّرْقِيَّةِ، مِنْ الرَّقِّ وَالصَّنْوُرِ، وَخَلِّةِ النَّجَاصَةِ، وَفِي الْحَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ يَأْتُونَ مِنْ الْبَيَاضَةِ، وَبَابِ الْغَمِيقَةِ، وَبِيرِ جَدِيدٍ".⁽⁵⁾

¹ - ن.م، ص.21.

² - ن.م، ص.21.

³ - ن.م، ص.30.

⁴ - ن.م، ص.51.

⁵ - ن.م، ص.55.

وفي هذا الفضاء يماس السّارد (الشّحروري) طقوسه الطُّفوليَّة مع صديقه المشاغب "حردان"، ومن أبرز هذه الطُّقوس صيد الطُّيور والعصافير بالأفخاخ السِّلكية وأفخاخ الخيطان، والفحَّة المشبَّكة في حواكير بلعا "وكان نشاطنا يقتصر على الصَّيد في الحواكير، كنَّا نستخدم الفحَّة المشبَّكة، وكنَّا دائمًا نصطاد طيور سرّاق حنة أمّه، فالطُّيور المهاجرة مثل السِّود، وديوك السُّمَان لا تأتي إلَّا في أول الشِّتاء".⁽¹⁾ ولعلَّ لطفلة تلك الأيام ألعابها الخاصة بها، والتي تبدو لنا ألعابًا تراثية في أيامنا الحالىَّة "أصوات الأولاد ارتفعت على ساحة بير الشِّيد وحولها، وعن قرب سُنْغمس في ألعاب عديدة الطَّميئنة، أولك يا اسكندراني، وتوين يا ربعي...".⁽²⁾

وللكبار ممارساتهم الاقتصاديَّة وطقوسهم الإنتاجيَّة والفالحية "هبطنا إلى الحرقان^(*)، تلك السُّفوح لا ينبت فيها التِّين والرَّيتون إلَّا في أعلىها، وتنبت فيها الثَّقَاحيَّات واللَّوزيَّات... حريق أبو نعيم لا يخدم... والقبار قد ترعرع فيه وثماره أينعت".⁽³⁾ ويصف السّارد آليَّات تقسيم الموسم على زمن السَّنة بطولها "في الرَّبيع يتمُّ تعزيل الأرض، وفي أول الصَّيف جني ثمار الحواكير وبيعها".⁽⁴⁾

وفي سياق آخر "وممَّا خفَّف الأمور قليلاً من ناحية التَّغذية، قدوم موسم التِّين... فهو والصَّبَر يسمَّيان بالقيظ، أي أحدهما يشبعان، لا يستغنى بهما تماماً عن الطعام ولكنَّهما يعينان ويساعدان".⁽⁵⁾ إنَّ هذه الآليَّة الإنتاجيَّة، بقدر ما تصنع الغلة، وتُقيِّت

¹ - ن.م.، ص.39.

² - ن.م.، ص.16.

* - الحرقان: اسم أرض.

³ - ن.م.، ص.26.

⁴ - ن.م.، ص.88.

⁵ - ن.م.، ص.120.

النَّاسُ، فِإِنَّهَا فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ تُصْنَعُ الْعَلَاقَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةَ بَيْنَ النَّاسِ فِي فَضَاءِهَا الْفَلَاحِيَّةِ، وَتَسْدِدُ الْحِتْيَاجَاتِ فِي تَمْتِينِ الْعَلَاقَاتِ "سَلَّمَنَا"، وَمِنْ بَابِ دَاخِلِي نَادِي الرَّجُلِ عَلَى أَخْتِي، جَاءَتْ مَسْرُعَةً وَمِتْهَجَةً... قَبَّلَتْ يَدَ أَبِي، وَقَبَّلَتِي، وَدارَ حَدِيثٌ قَصِيرٌ عَنِ الصِّحَّةِ وَالْأَحْوَالِ، سَأَلَ أَبِي عَنْ صَهْرِنَا... فَجَاءَ بِغَبَارِهِ تَقدِّمَ مِنْ أَبِي وَقَبَّلَ يَدَهُ⁽¹⁾، وَضَمِنَ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ يَهَادِي النَّاسَ تَلَكَ الْهَدِيَايَا الَّتِي تَلَامِ طَبِيعَةِ الْفَضَاءِ الْاِقْتَصَادِيِّ الاجْتِمَاعِيِّ، فَالْطِّفْلُ (السَّارِدُ فِي طَفُولَتِهِ) يَهَدِي صَدِيقَهُ مُرَوَانَ "الْفِخَاخَ الْحَدِيدِيَّةَ وَالشِّبَاكِيَّةَ، وَخِيطَانَ الْقِنْبَ لِعَمَلِ الْأَقْوَاسِ، وَمُوسَى كَبَّاسُ يَقْطَعُ الْأَغْصَانَ الْلَّازِمَةَ..."⁽²⁾. وَتَكْبِرُ الْهَدِيَايَا تَنْكِةً زَيْتَ وَآخَرَيْ مِنِ الْجَبَنِ⁽³⁾.

وَكَائِنِي أَرَى السَّارِدُ يَغُوصُ فِي طَيَّاتِ الْمُجَتَمِعِ يَسْتَكْنِي مَمَارِسَاتِهِ، وَتَفَاعُلَاتِهِ فِي الْمَكَانِ، وَيَرِكَّزُ عَلَى تَكْثِيفِ الصُّورِ التُّرَاثِيَّةِ، لِتُسْطِعُ هُوَيَّةُ الإِنْسَانِ الْفَلَسْطِينِيِّ الثَّابِتَةُ فِيهِ... فَهُنَّاكَ الْخُرَافَةُ "الْدَّوَابُ بِتَشَمَّ رِيحَةُ الضَّبَاعِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ حَصَانٌ... حَمَارٌ، بِبَلْمِدُّ، أَيْ يَقْفَ خَائِفًا وَلَا يَتَحرَّكُ..." هَذَا هُوَ نَتْيَاجَةُ لِقاءِ الْحَمِيرِ مَعَ الضَّبَاعِ⁽⁴⁾، وَلِلشَّارِعِ قَصْصَهُ عَنْ أَبُو رَجَلِ مَسْلُوخَةِ، وَالَّذِي يَحْمِلُ مَؤْخَرَتَهُ فِي السَّلَّ، وَكُلُّ شَبَرٍ فِيهِ مَسْكُونٌ⁽⁵⁾.

¹ - ن.م، ص32.

² - ن.م، ص36.

³ - ن.م، ص134.

⁴ - ن.م، ص50.

⁵ - ن.م، ص51.

كما تظهر الأمثال الشعبية في هذا المجتمع ملخصة تجاربه وممارساته "مالك أجتلوك خالتك"^(1*)، "ساغ سليم عالبيطار"^(2*)، "غيمة وانزاحت"^(3*)، "هذا الخفيف ميكل البيطة والتّقشيرة"^(4*). كما تتحدى السرديات في مواطن كثيرة منها عن شكل المدارس، وأليات تعليم الطلبة فيها "كان التّعلم 7 سنوات في الابتدائية، وأربع سنوات في الثانوية، ثم يتقدّم الطّلاب لامتحان شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني، مُترك فلسطين وهو غير المُترك الأردني الذي جاء لاحقاً..."⁽⁵⁾.

بقي أن نقول في هذه العجلة، إنَّ السَّارد يعزّز مصداقية هذه السرديات وموضوعيتها بذكره لاسمِه صريحاً في أكثر من موطن⁽⁶⁾، كما يذكر بعضًا من سماته الدَّاتية، وخصوصاً تجربته في السُّفور (إن دقَّ التَّعبير)، حيث كان خلع الحطة والعقال عن رأس الرَّجل يعدُّ عيباً في تلك البيئة، ولكنَّ السَّارد (الشَّحوري) قام بذلك، بكل جرأة وثقة...⁽⁷⁾

وفي الخلاصة فإنَّ هذه السرديات، تجربة أدبية، تعبر عن ثقافة وانتماء، كما أنها تصوّر زمانها ومكانها، بلغة ميسّرة جدًّا (لغة السَّارد)، ولغة عاميَّة يوميَّة إن نطق بها أبطال القرية.

¹ - ن.م، ص12. * عالمة على الجنون.

² - ن.م، ص36. * البيطار هو الذي يحدو الحيوانات.

³ - ن.م، ص81. * كناية عن نهاية الغم والهم.

⁴ - ن.م، ص92. * كناية عن الجشع والطَّمع.

⁵ - ن.م، ص38.

⁶ - ن.م، ص26، ص37، ص38... وغيرها.

⁷ - ن.م، ص40، ص46، ص47.

صحي شحوري الناقد:

أنجز صحي شحوري العديد من الدراسات النقدية، جاءت مقالات في صحف، أو أوراق في مؤتمرات أدبية، أو مؤلفات دراسية، ومن أبرز هذه الأعمال:

- 1- القصة القصيرة في الأرض المحتلة، بالشراكة مع الدكتورة حنان عشراوي: صدر المنجز عن الملتقى الفكري العربي، القدس، عام 1988م، وهو أوراق عمل بحثية نوقشت في ندوة أدبية نظمها الملتقى الفكري العربي في القدس بتاريخ 12/2/1986م. درس شحوري في هذا المؤلف 8 قصص قصيرة لقاصين فلسطينيين، حيث بدأ هذه الدراسة بتصور نظري حول المعايير التي اتبّعها في نقد القصة القصيرة، مثل: الكثافة الشديدة في القصة، وخلوها من الاستطراد، كذلك سمة التلميح والإيحاء، وتعددية الأصوات داخل النص، ووحدة الرؤية عند الكاتب، وجدلية العام والخاص، وعلاقة الشكل بالمضمون. (ص-3).
- ص-4-6: درس قصة الجرح لإبراهيم عالم، حيث لخص القصة، ثم تناول لغة القص ووظيفتها.
- ص-6-8: ركز شحوري على الحوار في قصة "أمومة" لجمال بنور، وبين وظيفة هذا الحوار.
- ص-8-11: في قصة "تضاريس للهزيمة القادمة" للقاص حسن أبو لبدة، بين الناقد صوت القاص الذي كان وراء الحدث، دون أن يظهر، لذا بنيت الأفعال للمجهول.
- ص-11-14: تطرق الناقد إلى توظيف المنهج البنائي في تحليل قصة "الحمامة" لمحمد عليان، وبين العلاقات بين شخصوص القصة، والعلاقات الموازية لها.
- ص-14-15: يسلط الضوء على "القصة في القطاع، ويركز الناقد على الحدة التي يتناول بها كتاب القصة الغربيون موضوعاتهم، حيث تتجلى هذه الحدة بارتفاع درجة الانفعال في القصة.

- ص 15-17: ولعله في استعراض القصة في القطاع، أَسَسَ للحديث عن قصة "النَّطُورُ وصمت البحْر" للقاصِ الغَرَبِيِّ غريب عسقلاني.
 - ص 17-18: في نهاية البحث يلخّص النَّاقد أَهْمَّ استنتاجاته، وأَهْمَّ ما جاء في ورقته النقدية.⁽¹⁾
- 2- تأويل الشِّعر المُحلي بين نهوضه واستنساخ الواقع:⁽²⁾
- دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، نابلس، ط 1، سنة 1995 م. يقع الكتاب في 238 وجاء على النحو الآتي:
- ص 1-7: بين النَّاقد أَنَّه استخدم أكثر من منهج في دراسته، إضافة إلى دور الدائمة الأدبية، ورَكَزَ أيضاً على دور ثقافة النَّاقد في العمل النَّقدي.
 - ص 7-9: قَدَّمَ النَّاقد لمحات عن نظريات النَّقد الأدبي، وتحدَّثَ عن النَّصِّ والسيءِ.
 - ص 13-18: شرح عن التَّرْزعة الشَّكليَّة الروسية.
 - ص 18-29: عرج النَّاقد على النَّظرية الماركسية، وأشكال تحقُّقها في الواقع، وعلاقتها بالإنتاج الأدبي والإبداع، وتجليات ذلك في شكل النَّصِّ ومضمونه.
 - ص 29-35: يتحدَّث النَّاقد في هذا الجزء عن البنوية: المفهوم، وأليات توظيف النَّظرية في النَّصِّ.
 - ص 35-38: يتطرق النَّاقد لدراسة "ما بعد البنوية" مثل النَّظرية التَّفكيكية.

¹ - شحوري، صبيحي، وعشراوي، حنان، القصة القصيرة، الملتقى الفكري العربي، القدس، عام 1988 م.

² - شحوري صبيحي، تأويل الشِّعر بين نهوضه واستنساخ الواقع، دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، نابلس، ط 1، سنة 1995 م.

- ص 38-40: يستعرض الناقد نظرية القارئ، وأهمية القارئ في إعادة إنتاج النص من خلال القراءة الوعية، وكأنَّ الحبل السري بين الكاتب والنص قد انقطع، وأصبح القارئ هو صاحب النص.
- ص 40-41: يتحدث هذا القسم عن الأدب النسائي، وأثر الحركات النسوية في الإبداع والنقد.
- ص 42: المراجع.
- ص 43-60: نقش الناقد رباعيات محمود درويش، فاستعرض: الموسيقا، والتنفيعات العروضية، والقافية، كما يدرس في هذا القسم العلاقات بين الألفاظ كالمائلة، والمشاكلاة والتباين.
- ص 61-100: يتناول فيه الناقد ديوان "ع الوجع" لسعود الأستدي، وهو ديوان شعريٌّ شعبيٌّ، يعتمد اللهجة العامية المحكيَّة، ويشرح الناقد: سمات لهجة أبناء الشمال العاميَّة، كما يتحدث عن الصور والتَّصویر في الديوان، ثمَّ يتطرق إلى قضايا أسلوبية مثل: علاقة العنوان بالنص، والمبشرة والتَّصویر ومسألة التَّسْكين. إضافةً لذلك يدرس الناقد بعض قصائد الأستدي التي وردت في الديوان، ويربط هذه القصائد بالواقع الفي والتراثي والوظيفي.
- ص 101-112: يتناول الناقد ديوان عبد الناصر صالح "المجد ينحني أمامكم"، حيث يتناول النص مقطعاً إثراً آخر معلقاً عليه: لغة، وموسيقا، وأثراً في الواقع.
- ص 113-136: يعرفنا الناقد بديوان "عاصفة على رماد الذكرة" للشاعر سليمان دغش، ثمَّ يذكر الناقد أسباب حذف بعض الشُّعراء لقصائدهم القديمة، ثمَّ يتطرق لآليات التَّشْرُوف وفرصه التي تبرر تجاور قصائد حديثة وقديمة للشاعر، كما يطرح الناقد مسألة تعدد المناهج النقدية وتكاملها في دراسة النص... ومن ثمَّ

ينتقل لدراسة: الوزن، والبيت الشعري، والقافية، وبنية المكان، ثم يبحث في معجم الشاعر، وفي الضمير السائد في النصوص.

▪ ص 137-161: يتناول الناقد في هذه الصفحات ديوان "أكمام تحت الجليد"

للشاعر أديب رفيق محمود:

- يعرّف الناقد بالديوان، ثم يتعرّض لمفهوم الشعر ووظيفته.
- يتطرق الناقد إلى الوزن والقافية، وطول السطر الشعري (بنية المكان).
- انتظام طول المقاطع، ودلالة البياض في حواشي الصفحة.
- يناقش العناوين، والزمن الداخلي في النص، والانزياح، والضمير السائد في النصوص.

▪ ص 165-188: يدرس الناقد ثلاثة قصائد للشاعر علي الخليلي من ديوانه "سبحانك سبحانك" من طينك طوفاني، حيث ترصد الدراسة: التفعيلات العروضية، واللغة، والانزياح.^(*)

▪ ص 189-208: يتعرّض الناقد لـ ديوان "هنا أول البر" لوسيم الكردي، حيث يدرس الفروقات بين القصائد في طولها وقصرها، ثم ينتقل لدراسة الموسيقا والتفعيلات، ومن ثم يتطرق إلى الأفعال في النص، والعلاقة بين الشكل والمضمون.

▪ ص 209-244: يدرس الناقد ديوان "فانتازيا" لـ فوضوي، عرف الناقد بالديوان، وأشار إلى ظاهرة نشر الفرد لأعماله على نفقته الخاصة، ثم يعرّج على عناوين النصوص، والضمائر المستخدمة، والعلاقات التي ولدتها النص.

* - الانزياح: عدم انصراف الكلام إلى ما وضع له أساساً، وأفضل دليل على ذلك المجاز ...

- ص 225-238: تناول في هذا القسم ديوان "ليالي الدّم والسّوسن" للشّاعر باسم الهيجاوي، بين منهجيّة الدراسة، وجرس التّماثل بين المقاطع، ثمّ رصد بعض الإشارات البلاغيّة والعروضيّة.
 - ثمّ محتويات الدراسة.
- 3- شيءٌ مما أبقيته الريح، دراسات في الشّعر الفلسطيني، دار الفاروق، نابلس، فلسطين، ط 1، سنة 2009م.
- يقع الكتاب في 275 صفحة من القطع المتوسط، وجاء على النحو الآتي:
- ص 58-7: درس النّاقد شعر الشّاعري يوسف أبو اللُّوز "في مجرّة القتل".
 - ص 49-59: قصيدة "لا تشتتها شفة"، للشّاعر علي الخليلي.
- مدارس في جداريّة محمود درويش، وقسمه إلى:
- ص 87-71: مدار أوّل عن الطّبل في الجداريّة.
 - ص 104-88: المدار الثاني عن الموت.
 - ص 116-105: المدار الثالث عن الاستعارات.
 - ص 134-117: المدار الرابع عن الغياب والغربيّة.
 - ص 151-135: المدار الخامس عن الميثولوجي والبعيد في الجداريّة.
 - ص 186-152: المدار السادس عن فضاء التّدوين الشّعري في الجداريّة.
 - ص 197-187: المدار الأخير عن التّكرار عموماً والتّكرار في الجداريّة.
 - ص 220-198: حيرة ولكنّها مبهظة.
 - ص 229-221: عن الإيقاع والاستعارات. الانكفاء والموت هو السائد في "ترانيم أخرى".
 - ص 275-230: دراسة تحليليّة لنصوص الشّاعرة منال التجوم.

إنَّ اللافت في هذا الكتاب تناوله لجداريَّة محمود درويش بطريقة نقدية تحليلية جريئة، وليس غريباً ذلك على شحوري، فهو شيخ النُّقاد كما يسميه الكاتب الفلسطيني محمود شقير، فقد تمرس في الكتابة السُّردية أولاً، ومن ثمَّ انطلق من التَّرْكيب إلى التَّذُوق والتَّحليل والنَّقد بما في ذلك إصدار قيمة على ما يقرأ... وسواء في كتابته السُّردية أو النَّقدية، فقد أفاد شحوري من دراساته العليا في التربية وعلم النفس، ومن قراءاته لكلِّ المدارس النَّقدية العربية والأجنبية، بدءاً بالوجودية (في مجلة الأداب) إلى الماركسية إلى البنية والتفكيرية، وصولاً إلى مرحلة ما بعد البنية.

يقول شحوري "إنَّ قراءة النَّصِّ قراءة تأمُلية واعية هي التي تستحضر المدرسة أو المنهج النَّقدي الذي يلائمها، وقد يلائمه غير منهج... في النَّصِّ السُّردي يميل شحوري إلى قراءة النَّصِّ ثمَّ الكتابة عنه قطعة واحدة، بعكس قراءاته للشِّعر، حيث يميل إلى تجزئة القصيدة إلى مقاطع، ثمَّ دراسة كلِّ مقطع على حدة، وفي التَّفريقي بين الإبداع الشِّعري والنَّثري يقول: "نحن العرب غنائيون في الشعر عموماً، وفي القصة نقترب من الواقع، ولم ننصح لكتابه رواية موضوعية بعد". وأظنه أراد الأبعاد الإنسانية الشُّمولية في الرواية، وعلى كلِّ حال فإنَّ شحوري لا يؤمن بانعكاس الواقع بشكل كليٍّ في النَّصِّ السُّردي، وإنما لا بدَّ من تجميل هذا الواقع، إذ إنَّ رسالة الفنِّ تكمن في تجميل الواقع، وليس في تصويره فوتографياً.

في تناوله للشِّعر، يتحدَّث عن كلِّ العناصر التي تتَّأثرُ إليه لحظة القراءة كظواهر لافتاً للنَّقد والتَّحليل، فيتناول الموسيقا، والتَّفعيلات والقافية، كما يتطرق إلى طول الأسطر الشعرية وقصرها، والعلاقات الدَّاخلية في النَّصِّ، إضافة لذلك فإنه في كثير من الأحيان يحيط معاني النَّصِّ إحالات فلسفية وميثولوجية. ويسلط الضَّوء على العنوان، وعلاقته بالنَّصِّ، في معظم تحليلاته النقدية.

يقول شحوري "إنَّ النَّقد في الشِّعر لم يعد قائماً على عنصر واحد كالوزن والقافية، بل أضحت القصيدة نسيجاً من عناصر عديدة متداخلة، وتنجلي مهمَّة النَّاقد في تفكيك هذا التَّشابه، ولذا فإنَّ عمل النَّاقد يكمن في التَّحليل، ومن ثمَّ التَّركيب وفق قراءته... ويمكن أن تتعدد هذه القراءة".

بقي أن نقول إنَّ شحوري يحتفي باللغة أيمًا احتفاء، ففي سردِياته يشحن لغته بطاقة من العواطف، والواقعية فيحيلها إلى كائن جدًا، يحمل رسائل مثيرة ومؤثرة، وفي دراساته النقدية، يتأنَّلها ويرى ملامتها للسَّارد، أو السَّخريَّة، أو ملامتها للمعاني التي يحملها النَّصُّ بشكل عام...⁽¹⁾

¹ - مقابلة الباحث لصبيحي شحوري 15/2/2014م.

مصادِر الْدِّرَاسَةِ:

1. الأسطة، عادل. **سؤال الهوية، فلسطينية الأدب والأديب**. ط.1. رام الله: دار الشُّروق للنَّشر والتَّوزيع، 2000.
2. الأسطة، عادل. **القصَّة القصيرة، في الضَّفة الغربية وقطاع غَزَّة 1967-1981**. ط.1. نابلس: د.ن، 1983.
3. حمادة، محمد. **موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين**، سوريا: د.ن، 2000.
4. شحروري، صبحي. **تأويل الشِّعر بين نهوضه واستنساخ الواقع**. ط.1. نابلس، فلسطين: دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، 1995.
5. شحروري، صبحي. **ثلاث ليال فلسطينية جَدًا**. ط.1. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2003.
6. شحروري، صبحي. **الداخل والخارج**. مجموعة قصصية. باقة الغربية: منشورات شمس، 1993.
7. شحروري، صبحي. **سرديات ريفية، مرآة لجمِر المسافات**. ط.1. نابلس، فلسطين: منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، 2012.
8. شحروري، صبحي. **شيء مما أبنته الرِّيح**. دراسات في الشِّعر الفلسطيني. ط.1. نابلس، فلسطين: دار الفاروق، 2009.
9. شحروري، صبحي. **المعطف القديم**. مجموعة قصصية. ط.1. القدس: منشورات البيادر، 1983.
10. شحروري، صبحي وعشراوي، حنان. **القصَّة القصيرة**. القدس: الملتقى الفكرى العربي، 1988.

-
11. شحوري، صبحي. "قصة ضيف في الزوية" مجلة الآداب، العدد الرابع، نيسان 1964، 12، بيروت لبنان.
 12. شقير، محمود. "صبحي شحوري المثقف الذي لا يساوم"، مجلة الشعراء، فلسطين، خريف 2004، العدد 26.
 13. يخلف، يحيى. الحياة الجديدة، 4 كانون الأول، عام 2013، العدد 6494.

- المقابلات:

- مقابلة الباحث لشحوري في 2014/2/8
- مقابلة الباحث لشحوري في 2014/2/15